كتب

لا يكتفي هذا الكتاب بالتاريخ الدبلوماسي في تناوُله خلفيات المعاهدة ونتائجها، بل يتطرّق أيضاً إلى دَور الصحافة والجماعات الدينية والجمعيات الخيرية ورجال المصارف والشركات العابرة للحدود، وما دار في الغرف المجاورة وأثّر على سير المفاوضات

عودة إلى معاهدة لوزان 1923

الكلّ يصنع سلاماً ولكن أيّ سلام؟

محمد. م الأرناؤوط

مع الحرب القائمة على أكثر من جبهة في «الشرق الأوسط»، برز تعبير «اليوم التالي»، أو السلام الذي سيفرضه الطرف الأقوى، سواء بالمجابهات العسكرية أو المفاوضات، وهو ما يُعيد إلى الأذهان الجملة التي عبّر عنها إرنست همينغواي في خريف 1922 وهو يُغطّي جلسات مؤتمر لوزان للسلام، والذي انتهى بالتوقيع على «معاهدة لوزان» في 24 تمّوز/ يوليو 1923، التي كرّست حدود «الشرق الأوسط» الحالي: «الكلّ صنع سلاماً، ولكن ما هو السلام؟».

في هذا السياق، صدر قبل أسابيع من بدء العدوان الإسرائيلي على غزّة كتاب «الكلّ صنع سلاماً، ولكن ما هو السلام؟ معاهدة لوزان 1923 والنظام الإمبريالي الجديد» بتحرير جوناثان كونلين وأوزان أوزافجي، والذي جاء مع كتب أُخرى مثل «المعاهدة الأخيرة: لوزان ونهاية الحرب العالمية الأولى في الشرق الأوسط» لـ ميشيل توسان (كامبريدج، 2023)، ليؤكّد على أهمّية المقاربة الجديدة لمفهوم وواقع السلام في «الشرق الأوسط». وبالمقارنة مع الثاني، الذي عرضناه في «العربي الجديد» (26 آذار/ مارس 2024)، فإنّ الأوّل كتابٌ جماعي كانت مقاربته مختلفة، ولذلك فهو يُغني أكثر رؤيتنا عن خلفيات ونتائج هذه المعاهدة المهمّة بالنسبة إلى «الشرق الأوسط» الحالي. والكتاب الجديد، الذي هو نتاج «مشروع لوزان»، جاء نتيجة لملاحظة المؤرّخ روبرت غيرث في دراسته المنشورة عام 2021 بعنوان «سماء ما بعد فرساي: معاهدات باريس في الإستوغرافيا الحالية»، التي شكا فيها من قلّة الدراسات الجديدة حول معاهدة فرساي. ولذلك حاول الكتاب أن يغطّي هذا النقص مع مقاربة جديدة تُغني الموضوع أكثر. فقد ركّزت الكتب والدراسات الأكاديمية على تناول الموضوع من خلال التاريخ الدبلوماسي، بينما كسر هذا الكتاب الحواجز بين التاريخ الدبلوماسي والعلوم المساعِدة للتعرّف إلى دور الصحافة والجماعات الدينية والجمعيات الخيرية ورجال المصارف والشركات العابرة للحدود، أي أنّه لا يُركّز فقط على الدبلوماسيّين المتفاوضين حول الطاولة، وإنما يشمل أيضاً ما دار في الغرف والقاعات المجاورة، وأثّر لاحقاً على سير المفاوضات. ولا شكّ أنّ معاهدة لوزان تستحق هذا الاهتمام الذي ما زال متواصلاً حتى بعد تخطّي مئويتها، بسبب ما حملته المعاهدة من مستجدّات في العلاقات بين الغرب والشرق؛ فقد كان يُؤثر عن اللورد جورج كرزون، وزير خارجية بريطانيا الأسبق، القول: «ها قد فرضنا شروطنا»، بينما ذهب إلى لوزان ليواجه مفاوضات صعبة وتنازلات لم تكن على البال بالنسبة للدول المنتصرة في الحرب العالمية الأُولى (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليونان)، التي كانت قد فرضت شروطها في معاهدات باريس (1919 - 1920). ومن هذه المعاهدات معاهدة سيفر (1920)، مع الدولة العثمانية التي حوّلتها من إمبراطورية إلى دويلة في الأناضول، في حين أنّ معاهدة لوزان عكست متغيّرات القوى إذا قارنّا خريطة تركيا عام 1920 بما آل إليه الأمر عام 1923، حتى حُقّ لمندوب اليابان في مؤتمر لوزان القول إنّ «تركيا هي الوحيدة من أعدائنا السابقين التي استعادت ذاتها دون أن تخسر مكانتها». ولذلك لا نستغرب ما بذلته تركيا من جهد حتى 2008 لتحصل على طاولة المفاوضات التي جرى توقيع معاهدة لوزان عليها، لتُعرَض الآن في «متحف حرب الاستقلال والجمهورية» بأنقرة.

من حماية الأقليات إلى نسف التعايش

وُصفت معاهدة لوزان بكثير من المسمّيات؛ مثل: «بداية نهاية بريطانيا العظمى» و«نهاية سلطة الرجل الأبيض» و«معاهدة

استبعاد المشاركة العربية

في مقابل الاهتمام الكبير في تركيا بمعاهدة لوزان، لدينا عربياً مشاركة علمية متواضعة، باستثناء الكتاب الأخير لجمال باروت «العلاقات العربية - التركية 1918 - 1923: السيرورة والتاريخ والمصائر» (2023)، والذي خصّص فيه فصلاً للمعاهدة. ومن هنا، فإنّ ترجمة هذا الكتاب (الغلاف) إلى العربية قد تحفّز البحث العلمي أكثر حول غياب أو استبعاد المشاركة العربية من مؤتمر لوزان ونتائجها.

الشعب التركي - الذي يفوق عدُده قليلاً سكّان لندن الكبرى - الذي قد فرض شروطه على القوى الكبرى» وغير ذلك، ولكنّها كانت بالفعل المعاهدة التي نسفت التعايش الإثني والديني والثقافي الذي كان سمة الدولة العثمانية؛ حيث جاءت الدولة الوليدة (جمهورية تركيا) بعد عدّة أسابيع من توقيع المعاهدة لتُعبّر عن واقع جديد بعد تطبيق «التبادل الإلزامي للسكّان بين تركيا واليونان»، والذي جرى فيه ترحيل حوالي مليون ونصف مليون مسيحي من الأناضول إلى اليونان وتهجير حوالي نصف مليون مسلم من إثنيات مختلفة بحجّة أنهم من «الأتراك». وفي الحقيقة يمكن القول إنّ الطرفَين التركي والأوروبي تخلّيا عن تراث قرون من التعايش بين الإثنيات والديانات في الأناضول والبلقان. ففي معاهدة برلين (1878)، التي اعترفت باستقلال دول البلقان (رومانيا وصربيا والجبل الأسود)، مع توسيع حدودها لتشمل مسلمين، نجد أن بنودها نصّت على حماية المسلمين واليهود في هذه الدول، بينما التزمت الدولة العثمانية بحماية الأرمن فيها، وهو الأمر الذي تضمّنته أيضا معاهدات 1913 و1914 بين الدولة العثمانية والدول البلقانية التي انتصرت عليها في حرب البلقان، ووصل إلى ذروته في معاهدات باريس (1919 - 1920)، التي تعهّدت فيها الدول المهزومة والدول المنتصرة في الحرب (يوغسلافيا واليونان)، بحماية الأقلّيات فيها، بينما نسفت معاهدة لوزان التعايش المستمرّ منذ قرون بغطاء من «عصبة الأمم» بتطبيق «معاهدة التبادل الإلزامي للسكّان بين اليونان وتركيا».

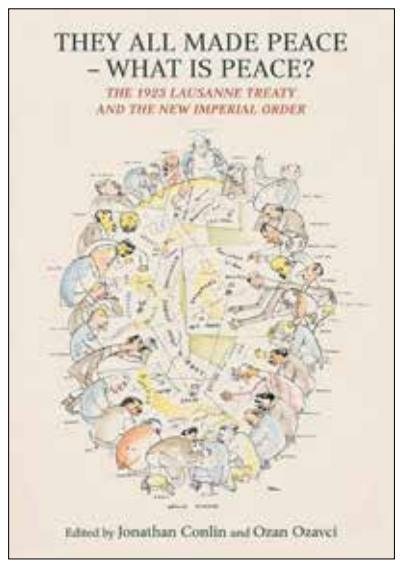

دراسات لستّة عشر باحثاً من تركيا وأوروبا والولايات المتّحدة

تغيب أصوات العرب والأكراد والألبان عن معظم أوراق الكتاب

الأصوات الغائبة أو غير المعتبرة

بالنظر إلى أنّ الكتاب شارك فيه ستّة عشر باحثاً من تركيا وأوروبا والولايات المتّحدة، فقد كان شاملاً أكثر بمقاربته وحصيلته من الكتاب الآخر (المعاهدة الأخيرة: لوزان ونهاية الحرب العالمية الأولى في الشرق الأوسط» لـ ميشيل توسان). ولكن مع هذا التنوّع، يُلاحَظ غياب المشاركة العربية في الكتاب، وحتى غياب أصوات العرب والأكراد والألبان وغيرهم من الذين تضرّروا من مؤتمر لوزان ونتائجه في معظم الدراسات المنشورة في الكتاب. لكن، لدينا استثناء واحدٌ يستحق الذكر، وهو مشاركة المؤرّخة الأميركية إليزابيث ف. طومسون، التي اشتغلت على موضوع الحكومة العربية في دمشق والمملكة السورية التي أُعلنت في الثامن من آذار/ مارس 1920، مستلهمةً المبادئ الولسونية والديمقراطية الغربية وحماية الأقلّيات، بدراستها «استبعاد العرب في لوزان: منعطف تاريخي مهمّ».

وتجدر الإشارة، أيضاً، إلى استثناء آخر، وهو مشاركة مؤرّخَيْن تركي ويوناني في دراسة واحدة بعنوان «في مفترق طرق التاريخ: ثناسيس أغنيدس وإيريليوس سباثاريس وتبادل السكّان بين اليونان وتركيا». توزّعت الدراسات الستّ عشرة في هذا الكتاب بين أربعة أقسام نشير إلى أهمّها. فأمّا القسم الأول، والذي حمل عنوان «من نظام إمبريالي إلى آخر»، فقد شمل دراسات إيمي م. جنيل «من الإمبراطورية العثمانية إلى الجمهورية التركية: القانون الدولي وحقوق الأقلّيات قبل وبعد لوزان»، وإيرين غولدشتين «خطط بريطانيا لإمبراطورية شرق أوسطية جديدة 1916 - 1923»، وصموئيل ج. هيرست وإتيين فورستير - بيرات «على هامش مؤتمر لوزان: الاتحاد السوفييتي واستبعاد النظام العالمي بعد الحرب العالمية الأُولى» وغيرها. وأمّا القسم الثاني، وعنوانه «الحضور الغائ، فتضمّن ثلاث دراسات مهمّة عن الأصوات التي كان يجب أن تُسمع أكثر وأن يكون لها حضورها في المعاهدة وليس فقط على هامش المؤتمر؛ فإضافةً إلى دراسة إليزابيث ف. طومسون، تناولت ليرنا إكمكجي أوغلو «نقاشات حول وطن قومي للأرمن في مؤتمر لوزان وحدود التعايش المشترك بعد الإبادة الجماعية»، وأضاءت ليلى كوتشاك زاده «المحاولات الإيرانية للمشاركة في مؤتمر لوزان».

وفي القسم الثالث، «تقديم تنازلات»، لدينا دراستان تتعلّقان بالعراق والكيانات الجديدة المنبثقة عن الدولة العثمانية، حيث تناولت ساره شيلدس «مسألة الموصل: لوزان وما بعدها»، وتناول باتريك شيلينغ ومصطفى إكسكال في دراسة مشتركة «تركيا وتوزيع الدَّيْن العثماني في لوزان». وفي القسم الرابع بعنوان «تحريك الشعوب»، لدينا دراستان عن أسوأ ما نتج من معاهدة لوزان: «القانون الدولي وتبادل السكان بين اليونان وبلغاريا وبين اليونان وتركيا» لـ ليونارد سميث، و«سلام رأسمالي؟ المال والعمل وإعادة توطين اللاجئين في اتفاقيات لوزان» لـ لاورا روبسن. أمّا القسم الخامس والأخير بعنوان «تأطير لوزان»، فلدينا دراستان مهمّتان: «تأطير الماضي والمستقبل في مؤتمر لوزان» لـ هانز لوكاس قيصر، و«لوزان في الإستوغرافيا الرسمية والشعبية: ‹حرب الهوية› في تركيا» لـ غوكهان تشيتنسايا. وفي الحقيقة، فإنّ الدراسة الأخيرة مهمّة لما أشار إليه المحرّران في المقدّمة، فهي تُخبرنا كيف أنّ أربعة من أعضاء الوفد التركي في مفاوضات لوزان شاركوا في تأسيس «الجمعية التاريخية التركية» عام 1930، وأصبحوا من المنظّرين للإستوغرافيا الجديدة التي تمجّد تركيا والأتراك، إلى حدّ التنظير لكَون الأتراك من أسلاف الأوروبيّين الذين صنعوا الحضارة الإنسانية. وربما لهذا السبب، فقد كُتب ونُشر عن مؤتمر لوزان في تركيا أكثر من أيّ دولة أو لغة أُخرى، وبقي الترقّب سيّد الموقف في انتظار مئوية لوزان عام 2023 للكشف عن «الاتفاقية السرّية» التي رُوّج لها في السنوات السابقة لأجندة سياسية.

(كاتب وأكاديمي كوسوفي سوري)

توقيع معاهد لوزان في «قصر رومين» بالمدينة السويسرية، 24 تمّوز/ يوليو 1923 (Getty)

نظرة أولى

الأندلس: الشرق في الغرب، عنوان كتاب للمستعرب الإسباني إيميليو غونزاليس فيرين، صدر عن «شيكليتون بوكس»، وفيه يتابع نهج كتابه السابق «حين كنّا عرباً» مدافعاً عن الأندلس، ومفسّراً تاريخها بعيداً عن التقاليد المدرسية والقصص الأسطورية، فما كان يُسمى إيبيريا سابقاً، ثم هسبانيا، ثم إسبانيا لاحقاً، تَشكّل إلى حدّ كبير من ثقافات البحر الأبيض المتوسّط، في حين كانت الأندلس استثناءً تطوّرت فيه واحدة من أكثر المجتمعات انفتاحاً، لكن السردية الرسمية حذفت قرابة ثمانية قرون من التاريخ الإسباني، ما خلق فجوةً يُحاول الكتاب سدَّها.

عن «مؤسّسة الدراسات الفلسطينية»، صدر كتاب **الإخفاق الاستخباراتي والعسكري والسياسي الإسرائيلي في 7 أكتوبر: دراسات وتحليلات لخبراء وباحثين إسرائيليين**، من إعداد رندة حيدر وتقديم فادي نحاس. يضمّ الكتاب مجموعة من الوجهات والتحليلات التي كتبها محلّلون وصحافيون من داخل كيان الاحتلال، يحاولون فيها فهم الإخفاق ضمن مستويات قيادية وعملياتية وأمنية، وتبدأ بتحليل جذور الفشل قبل السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر 2023، مروراً بالأخطاء التكنولوجية وانعكاساتها على الجيش والساسة، بالإضافة إلى مقابلات أُجريت مع مسؤولين أمنيّين صهاينة.

عن دار Urutau في البرازيل والبرتغال، صدرت مختارات شعرية مزدوجة اللغة (برتغالية/عربية)، للزميل الشاعر الفلسطيني نجوان درويش، في 180 صفحة، بعنوان **ولد من حيفا يُرَنْدِحُ كلمة**. يضمّ الكتاب قصائد مختارة من «لستَ شاعراً في غرناطة» (2018)، و«تَعِبَ المُعلَّقون» (2018)، و«استيقظنا مرّةً في الجنّة» (2020). في تقديمه للكتاب يستعرض المترجم تشايغو بونسي ديمورايس مسار ترجمته لقصائد درويش إلى البرتغالية منذ العقد الماضي ووصولها لقارئ اللغة البرتغالية، حيث «تجعلنا نتعرف بأدوات الفن إلى فلسطين حيّة ومزدهرة ومليئة بالقوة.. كلماته التي أصبحت الآن أيضًا كلماتنا.

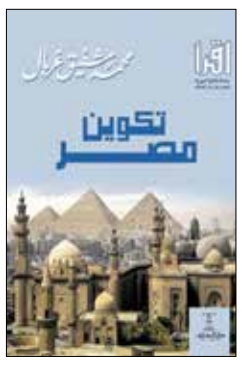

عن «دار المعارف»، صدرت طبعةٌ جديدة من كتاب **تكوين مصر** للمؤرّخ المصري محمد شفيق غربال (1894 - 1961). يتناول العمل، الذي صدر أوّلاً بالإنكليزية عام 1957 قبل أن ينقله مؤلّفه إلى العربية، هوية مصر أو شخصيتها ضمن سياقها التاريخي، مُحاولاً الإجابة عن أسئلة من قبيل: كيف نشأت النواة التي تكوّنت منها مصر في بداية أمرها؟ وإلى أيّ حد تفاعَل مبدآ الاستمرار والتغيّر في تكوين مادّة تاريخها. من فصول الكتاب: «الاستمرار والتغيّر في تاريخ مصر»، و«الإنسان والمجتمع في مصر»، و«المدينة والريف في مصر»، و«مصر والمسيحية»، و«مصر والإسلام»، و«مصر والغرب».

يعود الكاتب جهاد الرنتيسي (1966)، من خلال بطل روايته الجديدة **شامة سوداء أسفل العنق**، جواد الديك، إلى مرحلة حسّاسة من التجربة الفلسطينية الممتدّة منذ عشرينيات القرن الماضي، ليُضيء ملابسات وزوايا معتمة من تاريخ المنطقة. ترصد الرواية، التي صدرت عن «المرايا للثقافة والفنون»، تجربة فلسطينيّي الكويت، وجوانب من حياتهم اليومية ومظاهرها، بالإضافة إلى العلاقات الداخلية في التنظيمات الفلسطينية، بعيداً عن الأسطرة، في محاولة سردية للكشف عن محرّكات الصراع والانقسامات الداخلية، وتدور أحداثها بين الكويت ودمشق وبيروت.

بتوقيع المترجم المصري أحمد حسن، صدرت عن «دار صفحة سبعة» الطبعة العربية للجزء الأوّل من كتاب المؤرّخ البريطاني بيتر بورك (1937): **التاريخ الاجتماعي للمعرفة: من غوتنبرغ إلى ديدرو**. يركّز هذا الجزء على البنى والاتّجاهات وليس على الأفراد، ويرصد التيارات الفكرية التي انتعشت في أوروبا خلال أربعة قرون، بدءاً من بواكير عصر النهضة التي شهدها مخترع الطباعة الحديثة الألماني يوهان غوتنبرغ (1398 - 1468)، حتى الإنجازات الكبرى للثورة الصناعية وعصر الأنوار الذي كان الفرنسي دنيس ديدرو (1713 - 1784)، أحد مُنظّريه.

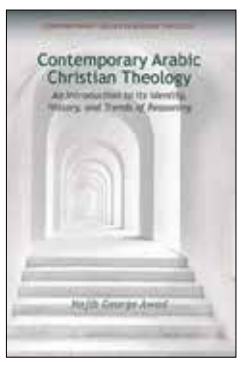

للباحث السوري جورج نجيب عوض صدر بالإنكليزية، عن «ريغنم بوكس»، كتاب بعنوان **اللاهوت المسيحي العربي المعاصر: مقدّمة في هويته وتاريخه واتجاهاته الفكرية**، وفيه يتناول الخطابات اللاهوتية التي طوّرها المسيحيّون العرب في سياقهم المعيشي المعاصر، وينظر في كيفية ربطهم مسيحيّتَهم بوضعهم المحلّي، وإدراكهم هويتهم على ضوء التحدّيات السياسية والثقافية للمجتمعات ذات الأغلبية المسلمة التي يعيشون فيها، كما يدقّق في تشابهات هذه الخطابات اللاهوتية لمسيحيّي المنطقة العربية مع نظيراتها في أجزاء أُخرى من العالم.

عن «مرفأ للثقافة والنشر»، صدرت للكاتب المغربي محمد سعيد احجيوج (1982)، مجموعة قصصية بعنوان **الرحلة إلى جبل قاف**. تُقدّم المجموعة تسعة نصوص تمزج القصّ التقليدي بالأساليب الحداثية، كما يلتبس فيها الواقع بالحلم والفانتازيا، وتتداخل الهويات والأصوات المستلهَمة من التراث من جهة، بالأزمة الراهنة التي يعيشها الإنسان وقلقه الوجودي من أُخرى. صدرت للكاتب ثلاث روايات: «ليل طنجة» (2019)، و«كافكا في طنجة» (2019)، و«أحجية إدمون عمران المالح (2020)، وفي القصة القصيرة: «أشياء تحدث» (2004)، و«انتحار مُرجَأ» (2006).